مساهمة المؤرخين الجزائريين في تحقيق التراث التاريخي الجزائري المخطوط

د. عبيد بوداود*

مقدمة: تملك الجزائر تراثا مخطوطا ضخما على غرار العديد من البلدان العربية والإسلامية، غير أن استغلال هذا التراث في الأبحاث الأكاديمية وأعمال التحقيق لا يزال في مراحله الأولى، كما أن هذه الثروة تعرضت إلى العديد من الأخطار زمن الاحتلال الفرنسي، كما تتهددها اليوم أخطار من نوع آخر.

إن أعمال تحقيق التراث المخطوط بدأت مع المدرسة التاريخية الفرنسية، حيث بادر العديد من الباحثين الفرنسيين أثناء الحقبة الاستعمارية بتحقيق عدد من المخطوطات نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ألفرد بل(1873–1945) الذي حقق كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ليحيى بن خلدون. ولقد خدم من أمثال هؤلاء المستشرقين التراث الجزائري، بإخراج العديد من نصوصه من صفتها المخطوطة إلى صفتها المطبوعة، مما أمكن من التعرف على العديد من المؤلفات، ومن التداول الواسع لها، ولكن بالمقابل فإن بعض المستشرقين استحوذوا على العديد من المخطوطات بطرق شتى، ونقلوا البعض منها إلى فرنسا، وبلدان أوروبية أخرى، مما شكل نزيفا حقيقيا للثروة الجزائرية المخطوطة.

*جهود المدرسة التاريخية الجزائرية في التحقيق: بعد استرجاع السيادة الوطنية انبرى العديد من المؤرخين الجزائريين لإعادة تحقيق ما بادر به بعض المؤرخين الفرنسيين من قبل، وتحقيق مخطوطات أخرى لأول مرة. لكن ثمة صعوبات واجهت هؤلاء الباحثين، لعل من أبرزها أن التراث الجزائري المخطوط كان في حاجة إلى جرد وفهرسة، فباستثناء قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الذي قام بفهرسته إدموند فانيان E.Fagnan، وطبع بباريس سنة 1893،

* – أستاذ محاضر أ في تاريخ المغرب الإسلامي– قسم التاريخ– جامعة معسكر.

والفهرس يقع في 690 صفحة، فإن بقية المكتبات والخزانات لم يشرع في جردها وفهرستها إلا منذ فترة قريبة جدا، وبعض هذه الأعمال التي تكفلت بها بعض مخابر البحث لا تزال في طور الانجاز؛ وللإشارة فإن ما اشتهر بتسميته بفهرس فانيان، وظل من نوادر المؤلفات أعيد طبعه من قبل المكتبة الوطنية سنة 1995 في صورته الأصلية دون زيادة أو نقصان، باستثناء مقدمة بسيطة في صفحتين للمدير العام المساعد[1].

وللعلم فإن فانيان لم يكتف بعرض عام لمخطوطات المكتبة الوطنية، وإنما اتبع خطة من ست نقاط، نوجزها فيما يلي: مقدمة شرح فيها المؤلف منهجه، قائمة تتضمن مقابلة بين أرقام المخطوطات في المكتبة الوطنية، وبين أرقامها في فهرس المؤلف، قائمة لأرقام المخطوطات المفقودة، فهرس مفصل بموضوعات المخطوطات، كشف هجائي عام يحتوي على أسماء مؤلفي المخطوطات وأسماء الأماكن والموضوعات في ترتيب هجائي واحد من حرف A إلى حرف Z، وكشاف بعناوين المخطوطات باللغة العربية.

وعلى الرغم من أن بعض طلبة علم المكتبات أنجزوا فهارس جديدة لأجزاء محددة من بعض محتويات– اقتصرت على علوم أو فنون معينة– قسم المخطوطات في إطار أبحاثهم لإنجاز مذكرات ليسانس إلا أن تلك الأعمال لم تثر ولم تطور لصالح إعادة فهرسة المكتبة الوطنية، مع العلم أن هذه الأخيرة استفادت من مقتنيات جديدة إما في شكل هبات أو مشتريات جديدة، وهي غير مدرجة في فهرس فانيان.

أما المكتبات والخزائن الخاصة، وخزانات الزوايا، فهي في حاجة إلى جرد وفهرسة لمحتوياتها حتى نستطيع الوقوف عند حجم وقيمة التراث المخطوط، رغم بعض الأعمال المنجزة في هذا الإطار، لكنها غير مطبوعة، وإن طبع البعض منها فهي قليلة التوزيع.

ولقد قام بعض الباحثين الجزائريين بالتعريف بمحتويات بعض هذه المكتبات في شكل مقالات نشرت ببعض المجلات، ومن بين تلك الأعمال نذكر ما يلي:

– التراث الجزائري المخطوط بين الأمس واليوم، د.عبد الكريم عوفي، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة باتنة، مجلة أفاق الثقافة والتراث، العددان 20–21، السنة 1998، صص85–103.

- فهرس مخطوطات زاوية أحمد بوزيد مولى القرقور بسريانة، ولاية باتنة، الجزائر، د.عبد الكريم عوفي، مجلة أفاق الثقافة والتراث، العددان 27-28، السنة 2000، صص63-91.

- مراكز المخطوطات في الجنوب الجزائري- إقليم توات نموذجا، د. عبد الكريم عوفي، مجلة أفاق الثقافة والتراث، العدد 34، السنة 2001، صص 113-130.

- خزائن المخطوطات الخاصة بولاية أدرار الجزائرية بين تشدد المالكين ورغبة الباحثين، عز الدين بن زغيبة، مجلة أفاق الثقافة والتراث، العدد 61، السنة 2008، صص4-5.

- خزائن المخطوطات بأقاليم توات (الجزائر) الواقع والأفاق، د. أحمد جعفري، مجلة أفاق الثقافة والتراث، العدد 64، السنة 2009، صص120-129.

بالإضافة إلى عشرات المقالات والمحاضرات التي ألقيت في مختلف الملتقيات العلمية للتعريف بمخطوط أو عدد من المخطوطات.

ومن بين الأعمال التي لا بد أن ننوه بها في هذا المقام كتاب "فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث "واقع التراث الجزائري الأصيل بين المعلوم والمجهول"، الكتاب الذي يقع في ثلاثة مجلدات، هو من تصنيف الشيخ بشير ضيف بن أبي بكر بن عمر الجزائري، وقدم له وراجعه الدكتور عثمان بدري، ونشر في الجزائر سنة 2002. الكتاب عبارة عن قراءة لواقع التراث الجزائري المخطوط، ويقدم معلومات مستفيضة عن المخطوطات الجزائرية، وأماكن توزعها، ونسبة المحقق منها؛ وهو كتاب مهم، ويعد مرجعا لا بد منه للباحثين المهتمين بمسألة المخطوط الجزائري، لكنه يبقى كتاب عام، ولا يمكنه أن يؤدي وظيفة الفهرسة المتعارف عليها من حيث الدقة والشمولية في إحصاء وجرد المخطوطات.

ومن الأعمال التي صدرت مؤخرا أي في سنة 2009، وهي ثمرة أعمال مخابر البحث المهتمة بالمخطوطات الجزائرية، كتاب التراث الجزائري المخطوط في الجزائر والخارج للدكتور مختار حساني من جامعة الجزائر[2]، وهو في سبعة أجزاء، الجزء الأول بعنوان تاريخ الجزائر من خلال المخطوط (كتاب الشماريخ نموذجا)، تحقيق مختار حساني، الجزء الثاني والثالث بعنوان الوثائق المخطوطة بالمكتبة الوطنية الجزائرية (نماذج)، الجزء الرابع بعنوان فهرس مخطوطات علماء الجزائر بالخزائن الوطنية (الشمال)، الجزء الخامس بعنوان فهرس مخطوطات علماء الجزائر بالخزائن الوطنية (الجنوب)، الجزء السادس والسابع بعنوان فهرس

المخطوطات خارج الجزائر. ويعتبر هذا العمل محاولة لوضع فهرس جامع للمخطوطات الجزائرية داخل الوطن وخارجه، لكنه لم يتمكن من حصر كل المخطوطات الجزائرية.

كما أن أمرا آخر حال دون إعطاء دفعة قوية للتحقيق في الجزائر، ألا وهو العدد المحدود للأعمال الأكاديمية التي اهتمت به في شكل رسائل ماجستير ودكتوراه، وعدم تشجيع اللجان والمجالس العلمية في الجامعات للطلبة على الانخراط في هذا النوع من الأبحاث لأسباب مختلفة، ومن بينها الاعتقاد السائد لدى بعض أعضاء هذه اللجان والمجالس أن التحقيق عمل سهل، ولا يحمل الطالب أعباء البحث الأكاديمي الجاد. وهذا في اعتقادي هو الذي أحدث الفرق بين الجزائر وبعض البلدان المجاورة مثل المغرب، فباطلاعنا على قوائم رسائل الماجستير والدكتوراه في التحقيق نلاحظ الفرق الشاسع بين البلدين.[3]

1- في إطار الرسائل الجامعية: بغض النظر عن الجدل الدائر في أوساط الباحثين حول مسألة وجود مدرسة تاريخية جزائرية من عدمه، فإن المقصود هنا جموع المؤرخين الجزائريين ذوي التوجهات الوطنية، الذين ظهروا بعد الاستقلال، وحاولوا الدفاع عن الهوية الجزائرية، والرد على المدرسة التاريخية الفرنسية، وإعادة كتابة التاريخ الجزائري وفق نظرة وطنية.

إن الدراسات الأكاديمية يفترض فيها أن تتسلح بمناهج البحث العلمي المعروفة، وتتميز بالموضوعية في الطرح والتحليل، لذلك تعتبر معيارا للدراسات الجادة، ونعني بالدراسات الأكاديمية، الأبحاث التي أنجزها أساتذة وباحثون جامعيون في إطار إعداد رسائلهم الجامعية، أو أبحاث أخرى مستقلة.

ثمة صعوبات حقيقية تعترض سبيل الباحث في رصد وتشخيص حجم هذه الأعمال، وذلك في غياب مرجع يمكن العودة إليه للتعرف على عناوين الرسائل والأطاريح الجامعية المناقشة في مختلف الجامعات الجزائرية، كما هو الحال عليه مثلا في المغرب الأقصى مع كتاب الباحث عمر أفا "دليل الأطروحات والرسائل الجامعية المسجلة بكليات الآداب بالمغرب"[4]، لكننا حاولنا أن نجمع ما أمكننا من المعلومات، رغم أن بعضها في حاجة إلى تحيين.

جامعة الجزائر: تضم أعرق معهد للتاريخ في الجزائر حسب التسمية القديمة، ويعرف حاليا باسم قسم التاريخ، فبالنسبة لرسائل الدكتوراه في التاريخ، الطور الثالث التي نوقشت ما بين سنتي 1968 و1985 لم نسجل ولا دراسة في مجال التحقيق من قائمة ضمت ست عشرة دراسة.[5]

أما بالنسبة لدبلوم الدراسات المعمقة التي نوقشت بذات المعهد ما بين سنتي 1963 و1985 لم نسجل إلا دراستين في التحقيق، واحدة بعنوان: "تحقيق ودراسة لكتاب التحفة المرضية في الدولة البكداشية" ناقشها الطالب محمد بن عبد الكريم يوم 1969/12/19، والأخرى بعنوان:"ابن حماد الصنهاجي وأخبار ملوك بني عبيد" ناقشتها الطالبة نشيدة سليماني(رافعي) يوم 1979/05/10، من مجمل قائمة للبحوث بلغت سبعة وخمسين بحثا.[6]

بينما لم تتضمن القائمة الخاصة برسائل الماجستير في نفس المعهد أية دراسة ذات علاقة بالتحقيق من بين سبعة وثلاثين بحثا نوقش في نفس الفترة.[7]

جامعة وهران: ضمت جامعة وهران ثاني أقدم معهد للتاريخ في الجزائر، وهو يحمل اليوم اسم قسم التاريخ وعلم الآثار، ومنذ أواسط الثمانينيات من القرن الماضي شرع الطلبة في مناقشة رسائلهم للماجستير وأطروحات الدكتوراه، وحتى لا نتيه في التسميات المختلفة التي أخذتها أسماء شهادات هذه الرسائل الأكاديمية الجامعية تبعا للإصلاحات التي تعاقبت على الجامعة الجزائرية (دبلوم الدراسات المعمقة، رسالة ماجستير، أطروحة دكتوراه دولة، مذكرة ماجستير، دكتوراه علوم)، سوف نشير إليها دفعة واحدة؛ حيث تقدر هذه الأعمال المناقشة بحوالي مائة وأحد عشر عملا ما بين سنتي 1985 و2010 [8]، لم نعثر من بين هذه القائمة الطويلة إلا على عمل واحد في مجال التحقيق، وهو عبارة عن رسالة ماجستير للباحث عبد القادر بوباية في التاريخ الوسيط الإسلامي بعنوان: "مخطوط مفاخر البربر: دراسة وتحقيق"، نوقشت يوم 1996/11/13، وهي من إشراف الدكتور إبراهيم فخار، والمشرف المساعد غازي الشمري.[9] (تضمن المخطوط ست وسبعين ترجمة لعلماء ذوي أصول بربرية بالمغرب والأندلس، كما تعرض لأصولهم وثوراتهم).

أما على مستوى قسم الحضارة الإسلامية التابع لنفس الجامعة، فقد سجلنا مناقشة سبعة أبحاث في مجال تحقيق المخطوط، وكلها ما بين سنتي 2006/2005 و2009/2008، وهي على النحو التالي:

– أعمال خير الدين من خلال مخطوط قدوم عروج وخير الدين رايس إلى الجزائر، رسالة ماجستير من تقديم الطالب محمد لعباسي، وإشراف الدكتور الجيلالي سلطاني، السنة الجامعية 2006/2005.

- كتاب نسب زغبة ومنتهى أصلهم لأبي الحسن بن الخطيب، دراسة وتحقيق، مذكرة ماجستير من تقديم الطالبة نعيمة الطيب بوجمعة، إشراف الدكتور محمد بن معمر، السنة الجامعية 2007/2006.

- كتاب الاعتبار وجواهر الاختيار والتعريف بذرية النبي المختار صلى الله عليه وسلم لأحمد بن عبد الجليل بن عبد العظيم التونسي، دراسة وتحقيق، مذكرة ماجستير من تقديم الطالبة لطيفة سموم، إشراف الدكتور عبد المجيد بن نعمية، السنة الجامعية 2007/2006.

- عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لأبي راس الناصري، دراسة وتحقيق، رسالة دكتوراه من تقديم الطالب محمد بوركبة، والإشراف الدكتور عبد المجيد بن نعمية ، السنة الجامعية 2008-2007.

- مخطوط النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، لابن صعد التلمساني، الجزء الأول دراسة وتحقيق، مذكرة ماجستير من تقديم الطالب محمد بلحاج، وإشراف الدكتور محمد بن معمر، السنة الجامعية 2007-2008.

- رحلة المجاجي، دراسة وتحقيق، مذكرة ماجستير من تقديم الطالبة سعاد آل الشيخ، إشراف الدكتور عبد المجيد بن نعمية، السنة الجامعية 2007-2008.

- أبو عبد الله التنسي وكتابه نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان، مذكرة ماجستير من تقديم الطالبة سهام بوعنيني، وإشراف الدكتور محمد بن معمر، السنة الجامعية 2008-2009.

يبدو أن هذا العدد مهم مقارنة بالأقسام الأخرى، والظاهر أن وجود مخبر للمخطوطات بالقسم هو الذي حفز الطلبة على الخوض في هذه الموضوعات، ونعني به مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا.

أما العدد المحدود جدا من أعمال التحقيق، بقسم التاريخ بجامعة وهران، فهو يعكس الحضور الضعيف وشبه غياب للأعمال المهتمة بتحقيق التراث التاريخي المخطوط، ليس فقط على مستوى جامعة وهران، وإنما على مستوى كل الجامعات الجزائرية.

جامعة منتوري بقسنطينة: أبلغنا بعض الزملاء دون أن نتأكد من حقيقة ذلك ميدانيا أنه لم يسجل أي موضوع في التحقيق بهذه الجامعة التي تتوفر على قسم عريق للتاريخ.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية: هي جامعة حديثة بالمقارنة مع جامعتي الجزائر ووهران، لكنها لم تختلف عنهما في قلة الأعمال ذات الصلة بتحقيق المخطوط التاريخي،

فبالنسبة لأطاريح الدكتوراه المناقشة بقسم التاريخ بهذه الجامعة لم نعثر إلا على عمل واحد في الفترة الممتدة ما بين سنتي 2003 و2008 للباحث عمر سليمان بوعصبانة بعنوان "مجموعة سير الوسياني، دراسة وتحقيق الجزء الأول، ضبط ومقارنة نصوص الجزأين الثاني والثالث"؛ نوقشت الأطروحة يوم 2006/03/06، وهي تحت إشراف الدكتور عبد العزيز فيلالي، من بين عشر أطاريح نوقشت خلال الفترة المذكورة.[10]

أما بالنسبة لرسائل ومذكرات الماجستير المناقشة ما بين سنتي 1993 و2008، فلم نعثر على أي عمل ذي صلة بالتحقيق من مجموع أعمال نوقشت بذات القسم بلغ عددها واحدا وخمسين بحثا.[11]

بينما الجامعات التي تأسست بها حديثا أقسام للتاريخ مثل جامعة الجيلالي ليابس بسيدي بلعباس، وجامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان، وجامعة معسكر، وجامعة باتنة، وجامعة الوحدة الإفريقية بأدرار، وجامعة بشار فلم تهتم الدراسات العليا بها بشأن المخطوط وتحقيقه، ربما متأسية بالجامعات العريقة في هذا الأمر.

أما خارج الجزائر، فقد سجلنا رسالة لعبد الحميد حاجيات حول تحقيق الجزء الأول من كتاب بغية الرواد ليحيى بن خلدون، ناقشها بجامعة بروفانس بفرنسا سنة 1974.

-HADJIAT Abdelhamid, le bujyat ar-ruwwad de Yahya Ibn Khaldun (1ere partie). Edition critique avec introduction et notes, T3, Univ. Provence, 1974.

2- في إطار الدراسات الأكاديمية: بذل عدد من الباحثين الجزائريين جهودا معتبرة لنشر التراث الجزائري المخطوط وتحقيقه، منذ الاستقلال وإلى غاية الآن، ولقد ارتأينا في هذا المقام ذكر عناوين المخطوطات التي حققوها، بالإضافة إلى دار النشر، وسنة النشر، واقتصرنا على التعريف بموضوع بعض المخطوطات دون الأخرى إيثارا للاختصار:

إسماعيل العربي:

- سير الأئمة وأخبارهم لأبي زكريا يحيى بن أبي بكر الورجلاني(ت471هـ/1078م)، المكتبة الوطنية الجزائرية، 1979، وديوان المطبوعات الجامعية، 1984. وهو من أقدم المصنفات الخاصة بتاريخ الإباضيين في المغرب، إذ زودنا بمعلومات حول دخول المذهب الإباضي إلى المغرب، وتطوره فيه، وعن تاريخ الرستميين، ومقاومة الإباضيين للفاطميين، كما زودنا بسير عدد من أعلام الإباضية المشهورين من المغرب الأوسط والأدنى خلال القرنين الرابع والخامس

الهجريين. ينقسم الكتاب إلى قسمين، القسم الأول ذو محتوى تاريخي، والقسم الثاني حوى تراجم عدد من الإباضيين البارزين من المغرب.

– سير مشائخ المغرب، لأبي الربيع سليمان عبد السلام بن حسان بن عبد الله الوسياني(ت571هـ/1175م)، ديوان المطبوعات الجامعية، 1985. ينتمي المؤلف إلى قبيلة بني وسيان الزناتية، التي كانت مضاربها بإقليم قسطالية من بلاد الجريد التونسية. ويتألف الكتاب من ثلاثة أجزاء، الجزء الأول في مآثر أعلام الإباضية، بالإضافة إلى قضايا فقهية واجتماعية؛ وهذا الكتاب ثبت انتسابه للوسياني. أما الجزء الثاني الذي يحتمل أن أحد تلامذته هو الذي ألفه، فيتضمن أخبارا وقضايا مختلفة مع تراجم لبعض أعلام الإباضية. بينما يرجح أن يكون الجزء الثالث مأخوذا من سير أبي زكريا، ونسب للوسياني خطأ. إن هذا الكتاب يعتبر حلقة وصل بين ما ألفه ابن الصغير وأبو زكريا قبله في تاريخ الإباضية، ومن جاء بعده كالشماخي والدرجيني.[12]

رابح بونار:

– سنين القحط والمسغبة أو مجاعات قسنطينة، للصالح بن محمد العنتري (ت بعد 1293هـ/1876م)، الجزائر، 1974. ألف العنتري هذا الكتاب سنة 1870، واهتم فيه بتسليط الأضواء على الحياة الاقتصادية بقسنطينة أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، مركزا على سنوات القحط وما رافقها من غلاء في الأسعار ما بين سنتي 1803 و1868. و الكتاب يقع في 76 صفحة.[13]

– عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية للغبريني(ت704هـ)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970. بلغ عدد تراجمه مائة وتسع وأربعين ترجمة موزعة على النحو التالي: تراجم البجائيين والجزائريين ومن يتصل بهم، تراجم الأندلسيين المهاجرين إلى بجاية ونواحيها، تراجم الغرباء الوافدين عليها من المشرق.

– مصباح الأرواح في أصول الفلاح (حول يهود توات)، لأبي عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت909هـ/1504م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968. الكتاب عبارة عن رسالة وجهها الشيخ عبد الكريم المغيلي إلى فقهاء تلمسان وفاس يستفتيهم في شأن اليهود الذين أصبحوا يتبوأون منزلة اقتصادية وسياسية رفيعة في هذا الإقليم. الرسالة تنقسم إلى ثلاثة فصول: فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار، والثاني فيما يلزم أهل الذمة في

الجزية والصغار، والثالث فيما عليه يهود هذا الزمان في أكثر الأوطان من الجرأة والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية بتولية أرباب الشوكة وخدمة السلطان. نشر الكتاب "وألحق به أجوبة فقهاء تلمسان وفاس حول قضية اليهود بتوات، ونبذة من وصية المغيلي لسلطان كانو".[14]

– خاتمة أنيس الغريب والمسافر في الطرائف والنوادر، أو تاريخ بايات وهران المتأخرين، لمسلم بن عبد القادر الوهراني (ت1248هـ/1832م)، الجزائر، 1974. وهو كتاب في تاريخ وهران وناحيتها في الخمسين سنة الأخيرة التي سبقت الاحتلال الفرنسي، حاول فيه الإلمام بما حث في عهد البايات المتأخرين.[15]

محمد بن عبد الكريم:

– بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، لأبي المكارم عبد القادر المشرفي الجزائري(ت1192هـ/1778م)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت. وهو يتحدث فيه بإيجاز إل أصل الإسبان وموطنهم، ثم بشيء من التفصيل لقبائل بني عامر ونسبهم، وتعاونهم مع الإسبان، ودوافعهم وراء ذلك، مع كلام مختصر عن علماء عصره، ورجال الدولة على عهده،[16] والكتاب في عمومه صغير الحجم، حيث لا يتعدى واحدا وستين صفحة، منها أربعين صفحة تشكل المتن، أما البقية فهي عبارة عن فهارس وقائمة المصادر والمراجع المعتمدة في التحقيق، وهو لا يتضمن فصولا ولا عناصر، وإنما هو عبارة عن فقرات متتابعة.

– إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس عن الوباء لحمدان بن عثمان خوجة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968، وهو كتاب في الطب والوباء، قدم فيه المؤلف معلومات طبية، وأكد على أهمية العزل الصحي الذي أخذ به الأوربيون لتجنب انتشار الأوبئة.

– التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية لابن ميمون محمد الزواوي الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1972. وهو في سيرة الداي محمد بكداش(1710/1707)، ضمن كتابه مجموعة من الأشعار بلغ عدد أبياتها سبعمائة وخمسة وتسعين بيتا، وذلك في شكل مقامات، وصلت إلى ست عشرة مقامة، كل مقامة تحمل عنوانا مستقلا يعكس الموضوع الذي تعالجه أو تتعرض إليه. وجاء الكتاب حافلا بالمعلومات التاريخية عن أوضاع الجزائر في مطلع القرن 18م.

– رحلة محمد الكبير باي الغرب إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، لأحمد بن هطال التلمساني (ت1219هـ/1804م)، القاهرة، 1969. وهو تسجيل دقيق لغزو محمد بن عثمان الكبير لعين ماضي والأغواط وجبل عمور، سجل فيها يوم سير المحلة، وأسماء الأماكن التي مرت بها، مقدار الغنائم التي تحصل عليها الباي، كما تعرض لحالة السكان ووضعية العمران، وعلاقة الرعية بالحكام.[17]

– فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، لأبي راس محمد بن أحمد المعسكري (ت1238هـ/1823م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990. يرصد الكتاب حياة أبي راس الذاتية والعلمية، وهو يتألف من خمسة أبواب، الباب الأول: ابتداء أمري، الباب الثاني: في ذكر أشياخي النافضين عني قشب أوساخي شريعة وحقيقة وقرآنا وطريقة، الباب الثالث: في رحلتي للمشرق والمغرب وغيرهما، ولقاء العلماء الأعلام، وما جرى لي معهم من المراجعة والكلام، الباب الرابع: في الأسئلة وما يتعلق بها، الباب الخامس: المسمى بـ:"العسجد والإبريز" في عدة ما ألفت بين بسيط ووسيط ووجيز.

عبد الحميد حاجيات:

– أخبار المهدي بن تومرت للبيدق أبي بكر بن علي الصنهاجي(ت حوالي 555هـ/1160م)، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.أعادت المكتبة الوطنية طبعه سنة 1980، والمؤسسة الوطنية للكتاب سنة 1986. ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام: قسم يذكر فيه عودة ابن تومرت إلى المغرب، حركته الإصلاحية، دعوته إلى تأسيس نظام سياسي جديد، غزواته، وفاته. قسم يذكر فيه بيعة عبد المؤمن، غزواته، وفاته، وقسم يذكر فيه قائمة الثائرين على الموحدين في المغرب، وأخرى في الأندلس، وقائمة الحصون التي بناها المرابطون.

– بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ليحيى بن خلدون(ت780هـ)، الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980. الجزء الثاني حققه بوزيان الدراجي.

– تاريخ دولة الأدارسة (قسم من كتاب نظم الدر والعقيان)، تحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، الجزائر، 1984.

أبو القاسم سعد الله:

– منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، للشيخ عبد الكريم الفكون (ت1073هـ/1662م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987. وهو كتاب يعكس نظرة نقدية

تجاه مدعي التصوف لا سيما في مدينة قسنطينة والشرق الجزائري على عهد المؤلف، ينقسم الكتاب إلى ثلاثة فصول، الفصل الأول بعنوان: في من لقيناه من العلماء والصلحاء المقتدى بهم ومن قبل زمنهم ممن نقلت إلينا أحوالهم وصفاتهم تواترا. الفصل الثاني: فيمن تعاطى المنصب الشرعي لادعائه العلم، وهم كل من ادعى ما لا يصح له من خطة وتدريس وغيرهما إلا قليلا وفي الحديث كلابس ثوب زور، الفصل الثالث: فيمن ادعى الولاية من الدجاجلة الكذابين والمتشدقة والمبتدعة الضالين المضلين. خاتمة الكتاب: في ذكر من أردنا ذكره من الأصحاب والأحباب.

– رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة: لسان المقال في النبا عن النسب والحسب والحال لعبد الرزاق بن حمادوش الجزائري (ت حوالي 1200هـ/1785م)، منشورات المكتبة الوطنية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983. اعتمد المحقق على النسخة المخطوطة الوحيدة المتوفرة لحد الآن، وهي الموجودة في الخزانة العامة بالربط تحت رقم ك 463، والتي تتضمن الجزء الثاني من الرحلة، أما بقية الأجزاء فهي في حكم المفقود. يتضمن هذا الجزء من الكتاب رحلة ابن حمادوش إلى المغرب الأقصى، وتحديدا إلى مدن تطوان، مكناس، فاس ثم العودة إلى مدينة الجزائر. الكتاب حافل بوثائق مهمة في التاريخ الاجتماعي والديني والأدبي، كما يسلط الأضواء على شخص المؤلف الذي لا نتوفر على معلومات عنه في مصادر أخرى.

– رسالة الغريب إلى الحبيب[18] لأبي عصيدة أحمد بن أحمد البجائي(ت حوالي 865هـ/1460م)، بيروت، 1993. تقع في خمس وسبعين ورقة، استهلها المؤلف بقصيدة شعرية يشيد فيها بأبي الفضل المشدالي ومنزلته العلمية وذكرياته معه. وتضمنت بقية الرسالة خبر انتقاله من مصر إلى الحجاز مفارقا أبي الفضل المشدالي، ثم يروي حياته بالحجاز، وانتقاله بعد ذلك إلى تونس، وعودته إلى الحجاز. قام الدكتور أبو القاسم سعد الله بنشر هذه الرسالة مع نبذ من أنيس الغريب وروض الأديب.

يحيى بوعزيز:

– روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، للشيخ محمد بن صعد الأنصاري التلمساني(ت901هـ)، منشورات ANEP، الجزائر، 2004. وهو في التعريف بأربع شخصيات من متأخري صوفية المغرب الأوسط، وهم: محمد بن عمر الهواري، وإبراهيم التازي، والحسن أبركان، وأحمد بن الحسن الغماري.

– طلوع سعد السعود، للأغا بن عودة المزاري (ت بعد 1315هـ/1877م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990. يوجد هذا الكتاب في جزأين، الجزء الأول به أربعمائة وخمس صفحات، والجزء الثاني به أربعمائة وسبع وعشرين صفحة.

إن العنوان الحقيقي لهذا الكتاب، هو طلوع سعد السعود في تاريخ وهران ومخزنها الأسود، والمحقق هو الذي أدخل عليه هذا التعديل حتى يتجاوب مع مضمونه، الذي يذكر عنه المحقق ما يلي: "فقد توسع مؤلفه الآغا إسماعيل بن عودة المزاري في التأريخ لمدينة وهران، والجزائر، والغرب الوهراني، وإسبانيا، وفرنسا، والأتراك العثمانيين، من غابر العصور إلى عهده عام 1890م".[19]

يعود تاريخ تأليف المخطوط إلى نهاية عقد الثمانينيات وبداية عقد التسعينيات من القرن التاسع عشر، ويتشكل من خمسة أقسام يحمل كل واحد منها اسم مقصد، وهي:"

– المقصد الأول: فيمن بنى وهران، وفيمن أمر ببنائها، وأي تاريخ بنيت فيه. وبه 8 صفحات، من 4 إلى 11.

– المقصد الثاني: في ذكر بعض أوليائها والتعريف بهم، وبه 20 صفحة، من 11 إلى 30.

– المقصد الثالث: في ذكر بعض علمائها والتعريف بهم، وبه 9 صفحات، من 30إلى 38.

– المقصد الرابع: في ذكر الدول التي حكمتها، وهي تسع، وبه 486 صفحة، من 38 إلى 523.

– مقصد الخامس: في ذكر مخزنها وهو عين المراد، وبه 59 صفحة، من 523 إلى 582."[20]

– فريدة مؤنسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها المعروفة بتاريخ قسنطينة، للصالح بن محمد العنتري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991.

ناصر الدين سعيدوني:

– القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط للشيخ أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشدي(ت بعد 1301هـ/1883م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991. تعرض المؤلف في هذا الكتاب لقضايا عديدة، وأحداث متفرقة، بعضها عاصرها، وكان شاهد عيان عليها، والبعض الآخر نقلها عن غيره؛ ومن بين ما تعرض إليه: ثورة بوعمامة(1881–1904)، حقيقة الرؤيا الصالحة، الحديث عن الإمامة وشروطها، بعض الانتفاضات التي وقعت بالغرب

الجزائري، ثورة الأمير عبد القادر، بعض المجاعات والأوبئة والفيضانات بالناحية الغربية، ذكر سيدي الهواري، استيلاء الإسبان على وهران، فتح وهران الأول والثاني إلخ...

محمد العربي الزبيري:

– المرآة، لمحة تاريخية وإحصائية عن إيالة الجزائر، لحمدان بن عثمان خوجة (ت حوالي 1261هـ/1845م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثانية، 1982. وترجمة محمد بن عبد الكريم، بيروت، 1972.

– مذكرات لحمدان بن عثمان خوجة، ترجمة محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973.

المهدي البوعبدلي:

– الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، لأحمد بن محمد بن سحنون الراشدي (ت بعد عام 1211هـ/1796م)، قسنطينة، 1973. يتعرض الكتاب لشرح أرجوزة وضعها المؤلف في الفتح الثاني لوهران.

– دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران لمحمد بن يوسف الزياني (ت بعد 1320هـ/1902م)، الجزائر، 1978. يتألف الكتاب من قسمين: القسم الأول وبه أربعة فصول: في التعريف بوهران، في ذكر من اختطها، في ذكر بعض علمائها وأوليائها، وفي ذكر من ملكها من حين اختطت إلى هذا الزمان. أما القسم الثاني فتعرض فيه لحكم بني زيان، وأصل الإسبان وبلادهم واحتلالهم لوهران، ثم الحكم العثماني، وأخبار بايات الغرب.

إبراهيم طلاي:

– طبقات المشائخ لأبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني(ت670هـ/1271م)، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974. ولد الدرجيني بنفطة من بلاد الجريد، ثم انتقل إلى ورجلان سنة 616هـ/1220م، ثم عاد بعد سنتين إلى منطقة الجريد، وواصل تعلمه بتوزر، وتوفي ودفن بها. ألف كتابه هذا نزولا عند طلب بعض مشائخ الإباضية أثناء إقامته بينهم في جربة. ضمن كتابه في جزئه الأول ما كتبه أبو زكريا الورجلاني مع تعقيبات مهمة، وتعرض في الجزء الثاني إلى الترجمة لعدد من العلماء الإباضيين المشاهير، فبلغ من ترجم لهم مائة وعشرين ترجمة من المغاربة والمشارقة.

– الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات لأبي القاسم إبراهيم البرادي(ق8هـ)،"الذي هذب وأكمل به كتاب الدرجيني".[21]

عبد الرحمن طالب:

– البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم التلمساني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986. وهو في الترجمة لعدد معتبر من العلماء والأولياء الذين ينتسبون لتلمسان بالولادة أو الإقامة أو الزيارة أو الوفاة.

إبراهيم بحاز ومحمد ناصر:

– أخبار الأئمة الرستميين لابن الصغير ،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

محمود بوعياد:

– نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان للتنسي محمد بن عبد الله (ت899هـ)، حقق محمود بوعياد قسم منه عنونه بـ: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان، المؤسسة الوطنية للكتاب والمكتبة الوطنية الجزائرية، 1985.

مختار حساني:

– الدرر المكنونة في نوازل مازونة للمازوني أبي زكريا يحيى بن موسى (ت833هـ). وهو كتاب في النوازل، تضمن فتاوى المازوني، وغيره من مشاهير فقهاء المغرب الأوسط.

– تاريخ تحرير مدينة وهران من الاحتلال الإسباني خلال القرن الثامن عشر الميلادي من خلال مخطوطتين، الجزء الأول فتح مدينة وهران للجامعي، وهو في موضوع فتح وهران سنة 1708م، الجزء الثاني الرحلة القمرية(1792) لابن زرفة، منشورات مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، 2003.وهو في تاريخ مدينة وهران، تضمن مسائل مختلفة، بما في ذلك الفتح الثاني لوهران من قبل محمد بن عثمان الكبير.

مصطفى محمد الغماري:

– شرح أم البراهين في علم الكلام، لأبي عبد الله السنوسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

محمد الأمين بلغيث:

– كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، لأحمد بن يحيى الونشريسي، النشر لافوميك 1985. الكتاب من الحجم المتوسط فهو في حدود 85 صفحة، وموضوعه النظم في المغرب الإسلامي وتطور خطة القضاء. ينقسم الكتاب إلى قسمين، القسم الأول: كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية، والقسم الثاني: كتاب الأقضية.

جلول أحمد البدوي:

– أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، لأبي عبد الله محمد بن حماد الصنهاجي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984. يتضمن الكتاب معلومات هامة عن الدعوة الإسماعيلية والدولة الفاطمية بالمغرب، وثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد.

محمد بن معمر:

– رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، لأبي العباس أحمد المقري(ت1041هـ/1631م)، منشورات مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004."يحتوي الكتاب على معلومات هامة، وهي تتعلق بحياة المقري الشخصية في تلمسان والمغرب الأقصى ومصر والشام والحجاز. ويعالج الحياة الثقافية والأدبية في عصر المؤلف، وهو يتضمن في نفس الوقت معلومات تاريخية عن بلاد المغرب وأرض الحجاز واليمن، وبعض القضايا الفقهية والعقدية وغير ذلك"[22]

عبد القادر زبادية:

– أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

محمد بوكوشة:

– الديوان لأبي عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني (ت حوالي 1088هـ/1677م)، الجزائر، 1968. [23]

محمد بخوشة:

– الديوان لأبي عبد الله محمد بن مسايب التلمساني (ت حوالي 1190هـ/1776م)، نشره بتلمسان سنة 1370هـ، وأعاد نشره محققا الحفناوي أمقران السحنوني وأسماء سيفاوي، الجزائر، 1989.

– الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، لمحمد بن رقية الجديري التلمساني (ت بعد 1194هـ/1780م)، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، العدد3،

1967، ص ص 2-32. فرغ المؤلف من وضع كتابه سنة 1779م، وجاء تأليفه استجابة لطلب الباي محمد بن عثمان الكبير باي وهران، وتضمن الكتاب عرض تسع حملات عسكرية تعرضت لها الجزائر بين 1516م و1775م.

أحمد توفيق المدني:

– مذكرات 1754-1830 للحاج أحمد الشريف الزهار (1289هـ/1872م)، الجزائر، 1974. يعتبر الكتاب تقاييد شخصية تعرض فيها صاحبه إلى الفترة الأخيرة من العهد العثماني، ومرحلة المقاومة بزعامة كل من الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي.[24]

لا ندعي أننا أحطنا بكل الأعمال المنشورة والمحققة للتراث الجزائري المخطوط من قبل باحثي المدرسة التاريخية الجزائرية، فربما قد أغفلنا ذكر بعض تلك الأعمال، لكن العناوين المذكورة تمثل أهم ما أنجز في هذا الإطار.

نلاحظ على هذه الأعمال أنها كانت أكثر اهتماما بتاريخ الجزائر خلال مرحلتي التاريخ الوسيط والحديث خاصة الفترة العثمانية، هذه الأخيرة التي تزخر بحجم أكبر من المخطوطات مقارنة بالفترات التاريخية السابقة. وأن مجهودات المؤرخين الجزائريين تراوحت بين النشر والدراسة والتحقيق. وأن بعض هذه الأعمال المعروضة لم تقتصر على تاريخ الجزائر فقط ، وإنما تناولتها في إطار تاريخ المغرب الإسلامي مثلا فأدرجناها ضمن التراث الجزائري المخطوط.

ولا بد أن نشير أن العديد من المؤرخين الجزائريين ساهموا في تحقيق التراث العربي والإسلامي، سواء المتعلق منه بتاريخ المغرب الإسلامي والأندلس، أو تاريخ المشرق الإسلامي، لكننا ارتأينا حصر الموضوع في تاريخ الجزائر، حتى نستطيع الإحاطة به، والتحكم فيه.

خاتمة: ساهم الباحثون الجزائريون، سواء في إطار إعداد رسائلهم الجامعية، أو في إطار أعمال أخرى مستقلة، في بعث التراث التاريخي الجزائري المخطوط، والتعريف به، والعمل على نشره وتحقيقه؛ وإن كان هذا الجهد خلال العقود الأربعة التي تلت الاستقلال الوطني دون الآمال المعقودة، وذلك لأسباب موضوعية، لعل على رأسها تأخر فهرسة ذلك التراث، وضعف الوعي بأهميته.

لكن اليوم هناك انطلاقة جديدة، لعل من أهم معالمها، الشروع في فهرسة العديد من خزائن المخطوطات العامة والخاصة، وتأسيس عدة مخابر للبحث في هذا الحقل من المعرفة، وتسجيل عدة مواضيع لتحقيق التراث سواء كرسائل جامعية، أو في إطار مشاريع وطنية للبحث، وتأسيس المركز الوطني للمخطوطات، وكذلك الحاجة الملحة إلى هذه المخطوطات لإعادة كتابة التاريخ الوطني بوثائق محلية، تشكل بديلا للمصادر الأجنبية التي هي أكثر استعمالا واستغلالا والتي كثيرا ما شوهت التاريخ الوطني.

هوامش البحث:

1– E. FAGNAN, Catalogue Général des Manuscrits de la Bibliothèque Nationale d'Algérie (Première tranche : du n°1au n°1987, Bibliothèque Nationale d'Algérie, 2è édition, Alger, 1995.

2– منشورات الحضارة، الجزائر، ط1، 2009.

3– راجع ما ورد عند عمر أفا، دليل الرسائل والأطروحات الجامعية.

4 – صدر منه لحد الآن خمسة أجزاء تغطي الفترة الممتدة من 1961 إلى 2003، طبعت هذه الأجزاء بمطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء بين سنتي 1996 و2006.

5 – مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، ع1، 1986، ص 179.

6– نفسه، ص ص 180–182.

7 – نفسه، ص ص 183–184.

8– يمكن مراجعة هذه القائمة في مجلة عصور، يصدرها مخبر مصادر وتراجم، جامعة وهران، العددان الرابع والخامس، ديسمبر2003/جوان 2004، ص ص 311–319.

9 – طبعت هذه الرسالة في طبعتين، الطبعة الأولى بعنوان مفاخر البربر لمؤلف مجهول، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، الرباط، ط1، 2005؛ والطبعة الثانية اكتشف من خلالها الباحث مؤلف الكتاب حيث نسبه لأبي عبيد الله صالح بن عبد الحليم الإيلاني المصمودي، وطبع بنفس الدار.

10– حليمة قصير:" دليل مناقشات رسائل الماجستير والدكتوراه في كلية الآداب والعلوم الإنسانية(معهد الحضارة الإسلامية سابقا)"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد العاشر، جانفي 2009، ص.420.

11– نفسه، ص ص 430–436.

12– ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ص ص 76–79.

13– نفسه، ص 535.

14 – نفسه، ص 271–273.

15– نفسه، ص 471.

16 – نفسه، ص 413.

17– نفسه، ص 448–449.

18–" تقع في حدود خمس وسبعين ورقة. وهي في شكل رسالة أدبية استهلها أحمد البجائي بقصيدة يشيد فيها بأبي الفضل المشدالي ومكانته العلمية وذكرياته معه، بعدها أوضح أن هذه الرسالة هي جواب عن خطاب وصله من المشدالي المقيم بالقاهرة، وقد ذكر فيما بقي من الرسالة تحوله من مصر إلى الحجاز مفارقا أبي الفضل الذي ظل متعلقا به يراسله باستمرار دون أن يتلقى ردا يريح قلبه ويشفي غليله" ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص 240–241.

19– المزاري الأغا بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، دراسة وتحقيق يحيى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1990، ج1، ص أ.

20– نفسه، ص 15.

21– عمارة علاوة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص174–175.

22 – المقري أبو العباس أحمد، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تحقيق محمد بن معمر، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2004، ص 9.

23– نشر رابح بونار سنة 1976 القصائد العامية للمنداسي المجموعة في مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقم 1989 ورقات 114–124، وتتضمن ست قصائد مجموع أبياتها 352 بيتا مع القصيدة النونية. أنظر ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 372.

24– نفسه، ص 516.